إبهاج الحاج

ناصر الزهراني

إهداء
مكتب الدعوة وتوعية الجاليات
بالبديعة والصناعية الجديدة
بالرياض - هاتف: ٤٣٣٠٨٨٨
٤٣٣٠٤٧٠ - فاكس: ٤٣٠١١٢٢

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى ١٤١٤هـ
الطبعة الثانيـة ١٤١٥هـ
الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ

طبعة مزيدة ومنقحة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقريظ

لصاحب الفضيلة الشيخ العلاّمة:

عبدالله بن عبدالرحمن البسام

رئيس محكمة التمييز للمنطقة الغربية

وعضو مجلس هيئة كبار العلماء

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا وسيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فقد أهداني فضيلة الشيخ: ناصر بن مسفر الزهراني كتابه «**إبهاج الحاج**» فظَنَنْتُ أني أمام مَنْسكٍ من مناسك الحج كُتبت أحكامه ومسائله بطريقةٍ جديدة وبأسلوب مُيَسَّرٍ مُسَهَّل لعامة القراء وحَسْبُ. وإذا بي أمام ـ موسوعة ـ مختصرة ميسرة جمعت إلى صفوة أحكام المناسك ما لذَّ وطاب من المعارف واللطائف والطُّرَف والتُحَف والأحكام والآداب والأخبار والأشعار والمواعظ والحكم فَقَارِئُه في رَوْضةٍ فَوَّاحةٍ يتنقَّل فيها بين أزهارها وثمارها تَنَقّل الطائر المغرِّدِ في أفنان الجنان. فهو جليسٌ لا تُملّ مجالسته وأنيسٌ لا تُملّ منادمته ومُحدِّثٌ لا يُملّ حديثه.

فجزا الله المؤلف خير الجزاء وأثابه على ما بذل وقدّم.

تقريظ

لصاحب الفضيلة الشيخ الدكتور

أحمد بن عبدالله بن حميد

المدرس بكلية الشريعة بجامعة أم القرى

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فإنّ الحج مدرسةٌ تربويةٌ جامعة يحصل به تهذيب للنفوس وتزكية لها وقُرْب من الله عز وجل. فهو أطول العبادات زمناً؛ إذ يستغرق ـ في المعتاد ـ خمسة أيام، يصاحب ذلك تغيُّر في حال الحاج، وتَرْكٌ لما أَلِفهُ في حياته الرتيبة من المسكن والمأكل وغير ذلك، ويكتسب فيه رفقاء جدد فهو يعيش حياة جديدة لم يألفها طوال سنته. حياة عمودها الإخلاص ولُحمتها الاقتداء، وشعارها التلبية والتكبير والتهليل، كل ذلك له تأثيره الواضح، فترى الحاج ـ بعد أداء النسك ـ أكثر صلاحاً واستقامة وحبًّا للخير وقرباً من الله ـ جل وعلا ـ وفي قوله تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ﴾ دلالة واضحة فهي نَكِرةٌ في سياق الامتنان فتعمّ كل منفعة.

وإذا كان للحج هذا الأثر فالحاج بحاجة ماسة إلى ما يسد جوعه ونهمه من كتب ومقالات ودروس ومحاضرات فهو في حال إقبال على الله راغبٌ في الخير وأسبابه. ولهذا يلاحظ المرء كثيراً من الحجاج يأتي نادماً وجلاً، يسأل عمَّا فَرَّط فيه من طاعة، وما ارتكبه من معصية.

وإن كتاب الشيخ الفاضل ناصر بن مسفر الزهراني «**إبهاج الحاج**» له طعمٌ متميز ومنهج خاص قد لا يوجد في غيره؛ جمع فيه مؤلفه ـ جزاه الله خيراً ـ ما يحتاج المسلم أثناء الحج من أحكام ودروس وعبر ومواقف ولمحات وقصائد وشوارد مراعياً في اختيارها جانب التربية والتهذيب والموعظة والتذكير، كل ذلك بأسلوب يخاطب القلوب قبل الأسماع، وكان ـ جزاه الله خيراً ـ موفقاً في اختيارها متميزاً في صياغتها وعرضها.

أسأل الله أن يكتب لمؤلفه الأجر والثواب، وأن يبارك في علمه وجهوده وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه.

مقدمة

صاحب المعالي الدكتور **صالح بن عبدالله بن حميد**

إمام وخطيب المسجد الحرام

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه وبعد:

فقد اطلعت على كتاب «**إبهاج الحاج**» لصاحب الفضيلة أخي الشيخ ناصر بن مسفر الزهراني، فألفيته كتاباً قيماً سلك فيه الشيخ نَهْج جِدَّةٍ، وابتكار فتح للقارىء مدرسة الحجِّ بِشعائرها ومنافعها وفرائدها وفوائدها ما بين فقهٍ متين، وحكمةٍ بالغة وموعظةٍ رقيقة وطُرفةٍ لطيفة ومعلومة طريفة، جمع من الثمار جناها، ومن الرياحين أزكاها، صغير المبنى، موسوعي المعنى، ضم إلى حسن التبويب أسلوب الأديب، يفرح به العالم، ويستمدُّ منه المرشد ويفيد منه الطالب، جليس الحضر، ورفيق السفر، لا يختص بموسم ولا تَحُدُّه مناسبة، جدير بطالب العلم أن يقتنيه وحريٌّ بذي الفضل أن ينشره، فشكر الله للمؤلف سعيه وأحسن جزاءه وأجزل عطاءه ورزق الجميع الإخلاص والإحسان في القول والعلم والعمل إنه سميع مجيب وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه: **صالح بن عبدالله بن حميد**

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشداً.

وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد :

هذا الكتاب ليس صورة مكررة لما سبقه من تآليف، فلقد عمدتُ فيه إلى التجديد، وقدَّمتُ فيه الجديد، فجاء بعيداً عن الرّتابة المعتادة في كثير من مؤلفات الحج.

الحج أسرارٌ وعبر، دروسٌ وحكم، تربيةٌ وتزكية، قصصٌ ومواقف، أحداثٌ وطرائف، أخبارٌ وآثار، خطبٌ وأشعار، فوائد مُمْتعة، آداب نافعة، وصايا جامعة، مواقف رائعة، فلعلك تظفر بذلك كله في هذا الكتاب الذي أردتُّ أن يكون سلوة للحاج، ومناسباً لكل مزاج، فلقد جَهَدتُّ أن يكون مضمونه تصديقاً لعنوانه «**إبهاج الحاج**» وكذلك بالنسبة للمرأة المسلمة، فإنها تجد نفسها، وتاريخها، والإشارة إلى بعض أمجادها، وتوجيه الخطاب إليها، والاهتمام بأمرها في هذا الكتاب فلَها فيه حظٌّ وافر.

فالكتاب أشبه بحديقة غناء، وبستان جميل فيه الفاكهة الشهية والخضرة الندية، والرائحة الزكية، والزهرة البهية، يتجول الحاج فيه بقلبه وعقله ليجد فيه مما تشتهي النفس ألواناً، ومما يطرب القلب أفناناً. فدونك روضة فيحاء أمدَّها ماء الوحي وغيث الرسالة فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج.

بِنفسيَ ذاك الروض ما أحسن الحيا
وما أحسن المصطـاف والمتربَّعـا

ناصر الزهراني

موكب الحجيج

الحج هو تلك الرحلة الفريدة في عالم الأسفار والرحلات، ينتقل المسلم فيها ببدنه وقلبه إلى البلد الأمين لمناجاة رب العالمين.

ما أروعها من رحلةٍ وما أعظمه من منظر يأخذ بالألباب!

هل رأيت لباساً قط أجلّ من لباس الحجاج والمعتمرين؟
هل رأيت رؤوساً أعز وأكرم من رؤوس المحلِّقين والمقصِّرين؟
هل مرّ بك ركْبٌ أشرف من ركب الطائفين؟
هل هَزَّك نغمٌ أروعُ من تلبية الملبين، وأنين التائبين وتأوِّه الخاشعين، ومناجاة المنكسرين؟

فَأُجِيبُوا إجابةً ... لم تقع في المسامعِ
ليس ما تصنعونه ... أوليائي بضائعِ
تاجروني بطاعتي ... تربحوا في البضائعِ
وابذلوا لي نفوسكم ... إنها في ودائعي

يا لجلال الموقف ويالروعة والعظمة؛ السماء في مهرجان يتنزل فيه الروح والملك سبحانك ربي ما أعظمك وأعدلك والأرض في عيد تتبرأ من الدماء المسفوكة والأموال المحرمة، والخطى الآثمة

وترحب بالدماء التي أُهريقت في سبيل الله وحده.

وهكذا تتجلى روح المساواة والأخوة والوحدة فتبدو جلية كالشمس ناصعة كالبدر.

وِحْدةٌ في المشاعر، وَوِحْدةٌ في الشعائر، وَوِحدةٌ في الهدف، ووحدةٌ في العمل، ووحدةٌ في القول، لا إقليمية، لا عنصرية، لا عصبية للون أو جنس أو طبقة.

عبق الذكريات :

هنا التاريخ يعود غَضَّاً طرياً نقياً بهياً، هنا تترآى في الأفق الذكريات الخالدة والمواقف الرائعة هكذا وقد استدار الزمان دورته لنتذكر جميعاً ذلك الرجل المحرم الذي أنار الله به الأفكار ووضع به الآصار، وغسل به الآثام والأوزار.

لنتذكر جميعاً أطهر نفس أحرمت، وأزكى روح هتفت، وأفضل قدم طافت وسعت، وأعذب شفةٍ نطقت وكَبَّرت وهللت، وأشرف يدٍ رَمَتْ واستلمت، هنا تترآى لنا تلك الروعة حيث ينقل خطاه في المشاعر، يهتف مع الملأ الطاهر في مظهر من أجلّ مظاهر التقوى والخشوع ورقَّة المشاعر.

يتنقل مع أصحابه ومحبيه مُردِّدين تلك النغمة الرائعة ومترنمين بتلك العبارات الناصعة «**لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك**».

إلهنـا مـا أعـدلـكْ مَلِيكَ كلِّ من مَلَكْ

لبيك قد لبيتُ لك ... لبيك إن الحمد لك
والملك لا شريك لك ... ما خاب عبدٌ سألك
أنت له حيث سلك ... لولاك يارب هلك
لبيك إن الحمد لك ... والملك لا شريك لك
والليل لما أن حلك ... والسابحات في الفلك
وكل من أَهَلَّ لك ... سَبَّح أو لبّى فلك
يا مخطئاً ما أغفلك ... عَجِّل وبادر أجلك
اختم بخيرٍ عملك ... لبيك إن الحمد لك
والملك لا شريك لك ... والحمد والنعمة لك

سبحانك يارب ما أروعه من منظر وأبدعه من موقف؛ مكة تدوي ببطحائها في العالمين لتقول من هنا يبدأ التاريخ ـ تاريخ التوحيد ـ تاريخ العدل، تاريخ الحرية، تاريخ الحق والسلام والإسلام، لكأني بالمعصوم ﷺ محرماً يتهلل وجهه سروراً ويمتليء قلبه غبطة ورضىً بنعمة النصر ونعمة إتمام النعمة ودخول الناس في دين الله أفواجاً لكأني به مرتدياً زي الصفاء والنقاء والوفاء والرجاء وحوله كوكبةٌ من أصحابه العظماء الأوفياء الأتقياء: أبوبكر وعمر وعثمان وعلي وبلال... ولسان حالهم جميعاً يقول للعالم ويخاطب الدنيا:

قد بعثنا للناس شعثاً وغبراً ... كالقضاء المحتوم في الأحقاب
حين بعنا رؤوسنا يوم بدرٍ ... واشترينا الرضوان في الأحزاب

اللهم صل وسلم على صاحب الأنفاس النقية، والطلعة البهية، والنفس الرضية، والمهجة التقية، واليد الوفية، وذروة السلالة الهاشمية وعلى آله وصحابته، تلك النخبة الأبية، ذات المعنويات القوية، والأفعال النورانية.

أنت الذي قَوَّمت ميزان الورى ... ومحوت ظلم العدل في الميزان
آسيتَ أيتاماً كفلت أراملا ... أسْعدتَّ محروماً رحمت العاني
أنقذتَ مسكيناً حميتَ مشرّداً ... أسعفت مكروباً هديت الجاني
صلّى عليك النيّران وسلما ... يا رحمةً بعثت من الرحمن

عروس الرمال

هنا نزلت الكلمة الطيبة، وهنا هبطت ﴿اَقْرَأْ﴾ نزل بها الروح الأمين على قلب سيد المرسلين.

مرحباً في مهبط الوحي التي حفّها الطّهرُ وفيض المنعمِ
أمرها في الناس ما أعجبَهُ أطربتْ قلبَ وعقل المسلمِ
هاهنا آياتُ ﴿إقرأ﴾ نزلتْ وأتى إعلان شأن القلمِ
وَسَرَتْ في الأرض أحلى نغمة: ﴿علم الإنسان ما لم يعلمِ﴾

من مكة انبعث النور وقام سوق العدل، ونُصب ميزان القيم، ورُفع منبر الحق، وبزغ فجر الفضيلة.

وعلى رمالها عُفِّر الشرك، وعلى ثراها مُزِّق الوثن، وفي أوديتها أُزهق الباطل، وعلى صخورها تحطمت جماجم الملاحدة.

بدأ التأريخ غَضًّا طرياً من مكة، وترعرع الزمن متألقاً من مكة، ووقع نور السماء على بساط مكة، فتبدَّد الوثن الجاهلي الجاثم.

لَعْلَعَتْ لا إله إلا الله ملء فم اليتيم على الصفا، وانسحق الإيوان الفارسي الغاشم، وتحطم الكيان القيصري الظالم، وغاضت بحيرة ساوه مراتع الظلم والفجور، وأُطفئت نارالمجوس فلا توقد أبداً.

لم تزالي على ممرِّ الليالي موئل الحقّ يا عروس الرمال
أنا في خدرِك الوضيء التفاتات ذهولٍ وهينمات ارتحال

فجَّعتْهم آلاء أحمد والأصنام فيها مُهتَكات الحِجال
قال يا عمِّ لا تدعني هنا وحدي وما لي سواك من مفضال
وبُحَيْرىٰ يروي أحاديث قدسٍ خاضلات الأنداء والآمال
وعلى يثرب أهازيج فتحٍ تتلقى بالحق خير الرجال
واستفاقت على صباح جديدٍ ملؤ آذانها أذان بلال
يا حجيج الرحمن تلك فيوضي عابرات بالحبِّ والإجلال
قل لمن شاء راحة في ضفاف النيل بين النخيل والأوحالِ
ليس عاراً إنْ في النضال عثرنا إنما العار في اجتناب النضال[1]

قال أبوهريرة رضي الله عنه: لما فتح الله عز وجل على رسول الله ﷺ مكة قام في الناس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلط عليها رسوله ﷺ والمؤمنين، وإنها لم تحلَّ لأحد كان قبلي، وإنها أحلت لي ساعة من نهار، وإنها لن تحلَّ لأحد بعدي، فلا ينفَّر صيدها، ولا يُختلى شوكها، ولا تحل ساقطتها إلاَّ لمنشد، ومن قُتل له قتل فهو بخير النظرين: إما أن يُفدى وإما أن يَقتل**» فقال العباس: إلاّ الإذخر يارسول الله، فإنا نجعله في قبورنا وبيوتنا. فقال رسول الله ﷺ: «**إلاَّ الإذخر**».

[رواه مسلم]

---

(١) مقطع من قصيدة للشاعر: عمر أبوريشة ـ رحمه الله ـ.

الرفيق قبل الطريق

إذا المرءُ لم يرضَ ما أمكنَه ولـمْ يـأت مـن أمـرِه أحسنـهْ
فـدعـه فقـد سـاء تـدبيـرهُ سيضحـكُ يـومـاً ويبكـي سَنَـهْ

يا أخي الحاج يا من نويت المسير إلى بيت العزيز القدير، وأزمعت الرحيل لمرضاة الجليل، وعزمت على السفر طاعة لرب البشر، أما علمت أن المسافر يحتاج إلى صحبة، والطريق تلزمه الرفقة؟ فهل اخترت صحبتك، وعرفت رفقتك؟ الصحبة التي تُـذكِّـرك إذا نسيـت، وتنبهـك إذا غفلـت، وتعينـك إذا قصَّـرت، يُقرِّبونك من الله ويسعون بك إلى رضاه، يؤنسونك في الوحشة، ويسلونك في الغربة.

من أعظم نعم الله على العبد أن يرزقه رفقة صالحة، وصحبة ناصحة. سعادةٌ بالغة لمن وجد إخوةً يأنس بهم، وأحبةً يرتاح لهم، إذا كثرت عليه الهموم وجد عندهم ما يطرد هَمّه ويُذهب غمه، إذا ضاقت به الأمور لقي منهم ما يفرّج كَرْبه ويدفع ضائقته، إذا قسا عليه الزمان وجارت عليه الأيام وجد من عطفهم ما ينسيه القسوة، ومن برِّهم ما يبرد قلبه.

إذا أراد سفراً كانوا له في سفره مؤنسين، وعلى طريقه الشاق معينين المسافر إذا رُزق الصحبة الطيبة الوفية، المخلصة التقية،

الناصحة الصالحة، فإن مشقة السفر لا تجد إلى نفسه طريقاً، ووصب الرحلة لا يجد إلى قلبه مسلكاً، لا مشقة ولا وعثاء، لا تعب ولا عناء، لا هموم ولا شقاء.

يقال: إن السفر سمِّي سفراً لأنه يُسْفرُ عن أخلاق الرجال ويكشفها على حقيقتها. رأى عمر بن الخطاب رجلاً يُثني على آخر فقال له عمر: هل سافرتَ معه؟ قال: لا. فقال عمر: فما عرفته إذن.

أخي الحاج إن اختيارك للصحبة الطيبة هو جزء لا يتجزء من سفرك، وعنصرٌ لا غنى لك عنه في رحلتك وعليك قبل الشروع في ترتيب أغراض السفر وحوائج الرحلة أن تشرع أولاً في البحث عن الرفيق الصالح والأخ الناصح، الذي إذا غفلت ذكّرك، وإذا جهلت نبهك، وإذا أخطأت نصحك، وإذا أذنبت وعظك، إن عثرت أقال عثرتك، وإن أسأت ستر إساءتك، وإن أحسنت أعانك على إحسانك، يؤثرك على نفسه، ويحبك من قلبه، ويصدقك في قوله ونصحه. وقد صدق أهل الأمثال في قولهم (الرفيق قبل الطريق) وقولهم (الرجل بلا إخوان كاليمين بلا شمال).

واعلم أخي الحاج أن المرء كثير بإخوانه، وأن المسافر قويٌ برفقائه، واعلم أن القرين يعرف بقرينه، وكما تكون يكون جليسك، وقديماً قالوا: قل لي من تجالس أقل لك من أنت، فاختر الجليس الصالح فإنك لن تجد منه إلاَّ خيراً، ولن ترى معه إلا حَسَنا، وقد دعانا نبي الهدى ﷺ إلى مصاحبة الصالحين ونبذ

الطالحين فاستمع إلى هذا الحديث الجميل منه ﷺ: «**إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً منتنة**».

وقال ﷺ: «**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**».

وقال الشاعر:

عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن مُقتدي
وصاحب أولي التقوى تنلْ من تقاهُمُ ولاتصحب الأردى فتردَى مع الردى

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧ـ٢٩]

قال الحكماء: الصاحب رقعة في قميص الرجل فلينظر الرجل بما يرقع قميصه.

وما صاحب الإنسان إلاَّ كرقعةٍ على ثوبه فليتخذ ما يشاكله

ومن صاحب العاقل ربح وفاز ومن صاحب الجاهل خسر وندم.

ولاتصحبْ أخا الجهل وإيـــاك وإيـــاهُ
فكم من جاهلٍ أردى حليماً حين يلقاهُ
يُقاسُ المرءُ بالمرءِ إذا ما هو ماشاهُ

وللقلب على القلب دليلٌ حين يلقاهُ

إن المسافر المؤمن العاقل يختار لنفسه الرفيق الصالح صاحب الدين فإن تارك الدِّين عدوٌّ لنفسه فكيف يُرجى منه مودَّةً لغيره.

واحذر معاشرة الدنيء فإنها
تُعدي كمايُعدي الصحيحَ الأجربُ
يلقاك يحلف إنه بك واثقٌ
وإذا توارى عنك فَهْو العقربُ

قال بعض الحكماء: اصطف من الإخوان صاحبَ الدين والحسب، والرأي والأدب، فإنه رِدْءٌ لك عند حاجتك، وعند نائبتك، وأنسٌ عند وحشتك وزينٌ عند عافيتك.

أخلاَّء الرخاء هُمُ كثيرٌ ولكن في البلاء هُمُ قليلُ
فلا يَغْررْك خُلَّةُ من تؤاخي فما لك عند نائبةٍ خليلُ
وكلّ أخ يقول أنا وفيٌّ ولكن ليس يفعل ما يقولُ
سوى خلٍّ له حسبٌ ودينٌ فذاك لما يقول هو الفعولُ

فصحبة التقي ومرافقته هي الفوز العظيم ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧].

أخي الحاج:

احذر مودّة ماذقٍ مزج المرارة بالحلاوه
يحصي الذنوب عليك أيام الصداقة للعداوه

قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: لا تؤاخ الفاجر فإنه

يُزيّن لك فعله، ويحب لو أنك مثله، ويزين لك أسوأ خصاله، ومدخلُه عليك ومخرجه من عندك شينٌ وعار.

يقول المأمون: الإخوان ثلاث طبقات:

طبقة كالغذاء لا يُستغنى عنه. وطبقة كالدواء لا يُحتاج إليه إلاَّ أحياناً. وطبقة كالداء لا يُحتاج إليه أبداً.

يقول عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ:لولا أن أجاهد في سبيل الله أو أضع جبهتي في التراب لله أو أجالس قوماً يلتقطون طيب القول كما يلتقط طيب التمر لأحببت أن أكون لحقت بالله.

إن أخاك الحق من كان معك ... ومن يضرّ نفسه لينفعك
ومن إذا ريب الزمان صَدَّعك ... شتت شمل نفسه ليجمعك

وما أروع ما قال البارودي واصفاً بعض الأصدقاء والرفقاء:

ليس الصديقُ الذي تعلو مناسِبُهُ ... بل الصديقُ الذي تزكو شمائلُهُ
إن رابكَ الدّهرُلم تفشل عزائمه ... أو نابك الهمُّ لم تَفْتُر وسائِلُهُ
يرعاك في حالتي بُعدٍ ومقربةٍ ... ولا تُغبُّكَ من خيرٍ فواضلُهُ
لا كالذي يدّعي ودّاً وباطنه ... بجمر أحقاده تغلي مراجلُه
يذمّ فعل أخيه مظهراً أسفاً ... ليوهم الناس أن الحزن شامِلُهُ
وذاك منه عداءٌ في مجاملةٍ ... فاحذره واعلم بأن الله خاذِلُهُ

رزقنا الله وإياكم الصحبة الطيبة، والرفقة الصالحة، الذين نحبهم ويحبوننا في الله تعالى لنكون وإيّاهم ممن يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلاَّ ظله.

روح الحج

الحج ترك الديار، وفراق الأهل، وقصد الكريم، وتذكر الرحيل، والقدوم على بيت المنعم.

الحج: منازلة إبليس، وإرغام الطاغوت، واجتماع الأمة، وتجديد العهد، والاتفاق على الميثاق.

الإحرام: طرحُ الزينة، ارتداءُ الكفن، التهيؤُ للموت، إظهارُ المسكنة، توحيدُ الزيّ، بياضُ اللباس والمنهج والرسالة، شَعَثُ الخدمة، غبارُ المشقَّة والتضحية، ظمأُ الكبد لِماء الحوض، واشتياقُ القلب لِمعاهد الوحي.

التلبية: نشيدُ الأحرار، وأرجوزةُ الموسم، وحداء الرحلة، وهتاف الخالدين، إنه تصميم على المواصلة وتجديد للنشاط، وأذان للدهر، وإعلان لانتصار الحق على الباطل، والرشاد على الغي، والصواب على الخطأ، إنه حُرُوفٌ صادقة لحَّنَتها حناجرُ الشُّعثِ الغُبْر، تَرْجَمتُها: سمعنا وأطعنا وأتينا وحضرنا.

الطواف: دوران حول الرمز الخالد، والمثل الحيَّة، استجداءٌ مُلِحّ مِنّا للكريم جل في علاه، تكرارٌ للطَّلب، والتفاتٌ إلى بيت الجواد المنان. إنّ الطواف قصدٌ لبيتِ الله وهجرٌ لِبيوت ما سواه،